

أوضاع المسلمين

فيما كان يسمى الاتحاد السوفيتي

أعد هذا التقرير وحرره سيد عبد المجيد بكر

الأستاذ بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، وهو يلقي أضواء على المسلمين فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي، تعريفاً للمسلمين بأوضاع إخوانهم، وتحقيقاً للتواصل بين المسلمين.

مسلمو الاتحاد السوفياتي (آسيا) ^(١)

الوحدة الإدارية	عدد السكان	المسلمون	النسبة المئوية
سبيريا	١٣,٦٠٠,٠٠٠	٣,٤٠٠,٠٠٠	%٢٥
قازاخستان	١٦,٤٧٠,٠٠٠	٧,٠٨٢,٠٠٠	%٤٣
أوزبكستان	١٩,٥٦٩,٠٠٠	١٤,٨٧٢,٠٠٠	%٧٦
قرغيزيا	٤,٣٣٨,٠٠٠	٣,٢٩٦,٠٠٠	%٧٤
طاجيكستان	٤,٩٦٩,٠٠٠	٤,٠٧٤,٠٠٠	%٨٢
تركمانيا	٣,٤٥٥,٠٠٠	٢,٨٦٧,٠٠٠	%٨٣
أذربيجان	٦,٩٢٤,٠٠٠	٥,٢٥٩,٠٠٠	%٧٦
أرمينيا	٣,٤٥٩,٠٠٠	١,٣٥٦,٢٧٧	%١٠,٣
جورجيا	٥,٣٠٠,٠٠٠	١,٧٩٤,٠٠٠	%١٥
داغستان	٢,٠٠٠,٠٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠	%٧٥

(١) وصل تقدير سكان الاتحاد السوفياتي حوالي: ٢٨٤ مليون نسمة - وقدر عدد المسلمين بحوالي ٧٠ مليون نسمة.
- انظر الجداول.

المسلمون في الاتحاد السوفياتي «سابقاً»

أدت الأحداث إلى انهيار الاتحاد السوفياتي، وتغيير خريطته السياسية، وظهر اتحاد جديد باسم «منظمة الدول المستقلة»، ويشغل الاتحاد السوفياتي «سابقاً» مساحة قدرها ٢٢,٤٠٢,٢٠٠ كيلومتر^(١)، موزعة على قارتي آسيا وأوروبا، وهذه المساحة تعادل سدس اليابس تقريباً، ويبلغ طول الأراضي السوفياتية «سابقاً» بين بحر البلطيق والمحيط الهادي حوالي ١٠ آلاف كيلومتر، وعرضها يتراوح بين ٣٠٠٠ كيلومتر و ٤٥٠٠ كيلومتر^(٢)، ويتكون الاتحاد السوفياتي من ١٥ جمهورية، منها ست جمهوريات يشكل المسلمون أغلب سكانها، هذا بخلاف الأقاليم الملحقة بالخمس عشرة جمهورية، ولقد استولى السوفيات على مساحة ٤,٥٣٨,٦٠٠ كيلومتر من البلاد الإسلامية، والوحدات السياسية التي استولى عليها السوفيات من الأراضي الإسلامية في قارة آسيا هي:

أذربيجان- أوزبكستان- طاجيكستان- تركمانستان- قزاقستان- قرغيزيا- جورجيا- أرمينيا-. والست الأولى ذات أغلبية مسلمة، والأخيرتان كانتا تابعتين لحكم إسلامي خلاف فترات مختلفة. وفي قارة أوروبا: داغستان- شاشان- كباديا بلكاريا- القرم- ماري وادمورتيا- تشوفاشيا- تاتاريا- بشكيريا- أورنبج، أستينا الشمالية^(٣).

الأحوال الديموغرافية للمسلمين:

بلغ عددهم في سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م في إحصاء أجري في عهد القيصرية الروس ١٦ مليوناً، وفي العهد الشيوعي بلغ عدد المسلمين في سنة ١٣٤٥هـ / ١٩٦٢م-

(١) The Europa Year Book- 1987 vol. 2P.123.

(٢) The New Encyclopedia Of World Geography P.124.

(٣) منتصر الكتاني: المسلمون في المعسكر الشيوعي ص: ٦٨، البلدان الإسلامية (ص: ٧٥١).

١٧,٢٩٢,٠٠٠ نسمة، والزيادة حوالي مليون وربع المليون وهذا غير مقبول في مدة ٢٩ سنة، ويعود انخفاض عدد المسلمين إلى العديد من الأسباب، منها: كثرة عدد من أعدموا في الثورة الشيوعية، وطريقة الإحصاء التي أجراها الشيوعيون على أساس القوميات، لا على أساس الأديان والهجرة.

ووصل عدد المسلمين في سنة ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م إلى ٢٤,٣٨٠,٠٠٠ نسمة؛ أي بزيادة قدرها ٤١٪ في ٢٣ سنة، وفي سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م بلغ عددهم ٣٥,٢٣٢,٠٠٠ نسمة؛ أي بزيادة قدرها ٤٥٪، ونسبة الزيادة الأخيرة مقبولة في مدة ١١ سنة، أما نسبة الزيادة السابقة لها، وهي ٤١٪^(١) في مدة ٢٣ سنة، فغير واقعية، فالمفروض أنها ٨٢٪.

وتعود أسباب انخفاض زيادة المسلمين في الفترة من ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م إلى ١٣٩٧هـ/١٩٥٩م إلى المعاناة في فترة الحرب العالمية الثانية، وحركة مقاومة الوحدات السياسية الإسلامية، لدمجها في جمهوريات السوفييات «سابقاً». ويتدخل عنصر آخر، وهو طريقة الإحصاء التي اتبعها الروس، وكذلك تهجير المسلمين بصورة، إجبارية مما أدى إلى هجرتهم إلى الخارج، وقد أدى هذا إلى خفض نسبة المسلمين خصوصاً في الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى.

وتشير الإحصائيات إلى زيادة نسبة تكاثر المسلمين في الفترة الأخيرة، فالمعدل السنوي في الفترة من ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م إلى ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م يصل إلى ٣,٦٪، وهي نسبة عالية، ربما تعود إلى زيادة التناسل، وإلى استقرار الوضع المفروض عليهم. وإذا سرنا بهذا المعدل في نسبة تزايد المسلمين في عشر السنوات الأخيرة، على أساس الزيادة ٣٪ سنوياً،

(١) المسلمون في المعسكر الشيوعي: ص ٦١.

فهذا يشير إلى زيادة أكثر من عشرة ملايين نسمة في الفترة المخصوصة بين عامي ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م و١٣٩٩هـ/١٩٧٩م وعلى هذا الأساس يصل عدد المسلمين بالاتحاد السوفياتي في سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م حوالي ٤٥,٨٠١,٦٠٠ نسمة. وفي سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

وصل العدد إلى حوالي ٤٨,٥٤٩,٦٩٦ نسمة. وفي سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م وصل العدد إلى حوالي ٤٨,٥٤٩,٦٩٦ نسمة، وهذا الرقم يقترب من تقديرهم على أساس القوميات، وتقديرهم المصادر الغربية بـ ٤٠,٥٩٦,٠٠٠ نسمة في سنة ١٣٩٧هـ^(١). وهذا أقل من عددهم في التقديرات الإسلامية، وحركة تهجير السكان من منطقة لأخرى أمر مألوف بجمهوريةات الاتحاد السوفياتي «سابقاً»، وهذا يزيد من صعوبة التقدير كما سبق).

ويشير تطور زيادة نسبة المسلمين خلال الفترة الممتدة بين سنتي ١٣٤٥هـ/١٩٣٦م و١٣٩٠هـ/١٩٧٠م إلى صحة التطور العددي للمسلمين السابق ذكره، فلقد كانت نسبة المسلمين بين سكان الاتحاد السوفياتي في سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م، ١١,٦٧٪، وفي سنة ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م كانت نسبتهم ١١,٦٧٪ وأشارت إلى الأسباب المحتملة لانخفاض هذه النسبة، وفي سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م أصبحت نسبتهم بين سكان الاتحاد السوفياتي ١٥,٢٪. وتدل النسبة الأخيرة على ارتفاع تكاثر المسلمين، وعلى أساس ارتفاع معدل الزيادة السنوية^(٢) يحتمل أن يصل عدد المسلمين سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م إلى حوالي ١١٠,٣٧٩,٠٠٠ نسمة، والجدول الآتي يوضح عدد المسلمين بالاتحاد السوفياتي في السنوات الأخيرة، على أساس التقديرات الإسلامية، وقد وصل عددهم في سنة ١٣٩٧هـ

(١) The Muslim national Communism In The Union P.178.

(٢) Richard V. Weekes-Muslim Peoples P.520.

The Muslim National Communism In The Soviet Union Soviet + د. داود دورسون:

تقرير حول البناء الاجتماعي للمسلمين السوفيات.

إلى ٥٠ مليون نسمة، وربما يكون في هذا التقدير زيادة تأت من عدم وضوح الإحصاءات السوفياتية، ذلك أنها لا تعتمد على أساس ديني، وإنما تبنى على أساس القوميات، وإن جاز الأخذ بهذا، وهو المصدر الوحيد في الإحصاء السوفياتي، فيكون عدد المسلمين في الوقت الراهن حوالي ٧٠ مليون نسمة. ولقد قدر عددهم الحاج محمود كيكي رئيس الإدارة الدينية لمسلمي شمال القوقاز بحوالي ٧٠ مليون نسمة في سنة ١٩٨٩/٥١٤٠٩ م.

كما صرح الشيخ طلعت تاج الدين، المفتي ورئيس النظارة الدينية لمسلمي القسم الأوروبي وسيريا بأن عدد المسلمين في الاتحاد السوفياتي «سابقاً» يزيد على ٦٠ مليون نسمة، وأعلن الشيخ محمد صادق مفتي المسلمين في كزاخستان أن عدد المسلمين في الاتحاد السوفياتي وصل إلى ٧٠ مليون نسمة^(١)، وهذا يتفق مع نسبة تناسل المسلمين حيث إن نسبة المواليد مرتفعة عند المسلمين عنها عند الروس.

(١) The Europa Year Book Vol. P. 1237-1978.

الكتاني: المسلمون في المعسكر الشيوعي (ص: ٦٨).

والبلدان الإسلامية: (ص: ٧٥١).

وأخبار العالم الإسلامي: (١٩/٦/١٤٠٩هـ).

وأخبار العالم الإسلامي: (٢٨/١٢/١٤٠٩هـ).

وأخبار العالم الإسلامي: (٢/٥/١٤١١هـ).

المسلمون بالاتحاد السوفياتي ((سابقاً))

١٢٩٧هـ / ١٩٧٧م

حسب الوحدات الإدارية وفق التقديرات الإسلامية

الوحدة الإدارية	عدد السكان	المسلمون	النسبة المئوية
طاجيكستان	٣,٥٨٩,٠٠٠	٢,٩٤٢,٠٠٠	%٨٢
قرغيزيا	٣,٤٥١,٠٠٠	٣,٦٢٢,٠٠٠	%٧٦
أوزبكستان	١٤,٤٨٥,٠٠٠	١١,٢٩٨,٠٠٠	%٧٨
تركممان	٢,٥٢٠,٠٠٠	٢,٢٠١,٠٠٠	%٨٣
قازاخستان	١٤,٥٢٧,٠٠٠	٦,٢٤٦,٠٠٠	%٤٣
داغستان	٢,٠٠٠,٠٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠	%٧٥
أذربيجان	٥,٧٨٦,٠٠٠	٤,٣٩٧,٠٠٠	%٧٦
جورجيا	٤,٩٩٩,٠٠٠	٠,٧٤٩,٠٠٠	%١٥
أرمينيا	٢,٨٩٤,٠٠٠	٠,٣٠٠,٠٠٠	%١٠,٣
مسييريا الغربية	١٠,٠٠٠,٠٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠	%٢٥
المجموع	٦٤,٣٨٣,٠٠٠	٣٤,٧٥٥,٠٠٠	%٥٤
شاشان	١,١٥٠,٠٠٠	٠,٨٦٢,٠٠٠	%٧٥
بلكاريا	٠,٦٦٦,٠٠٠	٠,٤٩٩,٠٠٠	%٧٥
القرم ((ألغيت بعد الحرب العالمية الثانية)) تقدير	٧,٠٠٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠	%٧١

٦٠	٠,٣٦٠,٠٠٠	٠,٧٠٦,٠٠٠	ماري
٦٠	٠,٦٠٠,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠	أدمورت
٦٥	٢,١٩١,٠٠٠	٣,٣٧١,٠٠٠	تتاريا
٦٠	٣,٣٠٥,٠٠٠	٣,٨٤٣,٠٠٠	باشكيريا
٥٣	٠,٣١٧,٠٠٠	٠,٥٩٩,٠٠٠	أوستيا الشمالية
٥٥	٠,٥٣٩,٠٠٠	٠,٩٨٠,٠٠٠	موردوف
٦١	٠,٢٦٧,٠٠٠	٠,٤٣٤,٠٠٠	قرتشاي الشركسية
٨٠	٠,٣٢٠,٠٠٠	٠,٤٠٠,٠٠٠	الأديجا
٥٣	١,٠٦٠,٠٠٠	٢,٠٠٠,٠٠٠	أورنبرج
٥٨	٠,٨٧٠,٠٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠	الجوفاش
	١٥,١٩٠,٠٠٠	٢٣,٥٤٩,٠٠٠	
٥٦,٨	٤٩,٩٤٥,٠٠٠	٨٧,٩٣٢,٠٠٠	المجموع الكلي

سكان الاتحاد السوفياتي «سابقاً»

١٩,٢٨ %	٤٩,٩٤٥,٠٠٠	٢٥٩,٠٠٠,٠٠٠	١٩٧٧ / ١٩٣٩ م
٢٢ %	٦٢,٦٣٠,٠٠٠	٢٨٤,٤٩٦,٠٠٠	١٩٨٧ / ١٩٤٠ م
قدر عدد المسلمين بالاتحاد السوفياتي بحوالي ٧٠ مليون نسمة ((ان الملاحظات بعد الجداول)) وبذلك تكون النسبة ٢٤ %.			١٩٩٠ / ١٩٤١ م

المسلمون بالاتحاد السوفياتي (سابقاً)

١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م

حسب القوميات

بومية	عددها	المسلمون
- أوزبك	١٠,٧٤٦,٠٠٠	١٠,٧٤٦,٠٠٠
- تاتار	٦,٥٥٠,٠٠٠	٦,٥٥٠,٠٠٠
- كراخ	٦,١٩٥,٠٠٠	٦,١٩٥,٠٠٠
- أذري	٥,١٢٠,٠٠٠	٥,١٢٠,٠٠٠
- تركمان	١,٧٨٢,٠٠٠	١,٧٨٢,٠٠٠
- قرغيز	١,٦٩٩,٠٠٠	١,٦٩٩,٠٠٠
- بشكير	١,٤٥١,٠٠٠	١,٤٥١,٠٠٠
- كراكلباك	٢,٧٧٠,٠٠٠	٢,٧٧٠,٠٠٠
- كوميك	٢٢٠,٠٠٠	٢٢٠,٠٠٠
١- ويغور	٢٠٢,٠٠٠	٢٠٢,٠٠٠
١- قارتشاي	١٣٢,٠٠٠	١٣٢,٠٠٠
١- بلكار	٠٧٠,٠٠٠	٠٧٠,٠٠٠
١- نوجاي	٠٧٠,٠٠٠	٠٧٠,٠٠٠

٣٧,٠٠٧,٠٠٠		- مجموع المسلمين الأتراك
٧١٧,٠٠٠	٧١٧,٠٠٠	١٤- شاشان
٤٩٢,٠٠٠	٤٩٢,٠٠٠	١٥- شركس
٣٢٩,٠٠٠	٣٢٩,٠٠٠	١٦- كابرديان
١١٦,٠٠٠	١١٦,٠٠٠	١٧- أديجا
٠٤٧,٠٠٠	٠٤٧,٠٠٠	١٨- شركس ((آخرون))
٤٦٤,٠٠٠	٤٦٤,٠٠٠	- أفار
٣٧٨,٠٠٠	٣٧٨,٠٠٠	١٩- لرجين
٢٦٩,٠٠٠	٢٦٩,٠٠٠	٢٠- درجين
١٨٤,٠٠٠	١٨٤,٠٠٠	٢١- اينجوش
١٢٧,٠٠٠	١٢٧,٠٠٠	٢٢- ابخاز
٠٩٦,٠٠٠	٠٩٦,٠٠٠	٢٣- أبخاز ((آخرون))
٠٣١,٠٠٠	٠٣١,٠٠٠	٢٤- أبازة
١٠١,٠٠٠	١٠١,٠٠٠	٢٥- لأك
٠٦٥,٠٠٠	٠٦٥,٠٠٠	٢٦- تاباساران
٠١٦,٠٠٠	٠١٦,٠٠٠	٢٧- روتول
٠١٣,٠٠٠	٠١٣,٠٠٠	٢٨- تساخور
٤,٠٨٠	٠٠٨,٠٠٠	٢٩- أجول

٠٠٨,٠٠٠		المسلمون القوقازيون
٢,٤٩٧,٠٠٠	٢,٤٩٧,٠٠٠	٣٠- طاجيك
٢٢٠,٠٠٠	٥٦٥,٠٠٠	٣١- أوسيزيان ((الأوسيت))
١٠٤,٠٠٠	١٠٤,٠٠٠	٣٢- أكراد
٠٤٧,٠٠٠	٠٤٧,٠٠٠	٣٣- فرس
٠١٨,٠٠٠	٠١٨,٠٠٠	٣٤- طاط
٠١٣,٠٠٠	٠١٣,٠٠٠	٣٥- بالوش
٠٠٤,٠٠٠	٠٠٤,٠٠٠	٣٦- بشت
٢,٩٠٣,٠٠٠		المسلمون الإيرانيون
٠٤٧,٠٠٠	٠٤٧,٠٠٠	٣٧- هوي ((صينيون))
٠١٣,٠٠٠	٠١٣,٠٠٠	٨٣- عرب
٤٤,٠٥٠,٠٠٠	٤٤,٣٩٥,٠٠٠	المجموع

نسبة المسلمين

٪١٧

جملة سكان الاتحاد السوفياتي «سابقاً»

٢٥٩,٠٠٠,٠٠٠

سنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م

ملاحظات :

١ - الفرق بين مجموع المسلمين بالاتحاد السوفيتي حسب الوحدات الإدارية، ومجموعهم حسب القوميات، يود إلى تقدير بعض القوميات بأقل من عددهم، وهناك قوميات أخرى لم تذكر. والتهجير إلى سبيرا، سبب آخر.

٢ - تمثل القوميات التركية مركز الثقل الإسلامي، لاسيما في وسط قارة آسيا (٨٥٪).

٣ - تهجير الروس الأوروبيين إلى مناطق الأغلبية الإسلامية تسبب في انخفاض نسبة المسلمين، وأسهمت في هذا سياسة تهجير المسلمين من مناطق الأغلبية المسلمة.

٤ - يتوقع أن يصل عدد المسلمين بالاتحاد السوفيتي سنة ٢٠٠٠م إلى أكثر من ١٠٠ مليون نسمة، وذلك حسب معدل زيادة المواليد.

٥ - كما يلاحظ أن تقدير نسبة المواليد في سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م حقق زيادة قدرها ٤,٧٪ عن نسبة المسلمين بالنسبة إلى مجموع سكان الاتحاد السوفيتي في سنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، وهذا راجع إلى ارتفاع نسبة المواليد عند القوميات المسلمة عنها عند باقي القوميات المسلمة عنها عند القوميات السوفياتية، فأصبحت حوالي ٢٤٪، هذا ويتكون المسلمون في الاتحاد السوفياتي «سابقاً» من ٣٩ قومية موزعة بين الأتراك والقوقازيين والإيرانيين والصينيين والعرب، كما هو واضح بالجدول.

ولقد مرت على المسلمين بالاتحاد السوفياتي «سابقاً» مراحل قاسية في الفترة المخصوصة بين سنتي ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م إلى سنة ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م مما أثر في حالة المسلمين الديموغرافية، فقتل الروس مئات الألوف من المسلمين الباشكير والقرغيز على أثر ثورتهم بعد عام ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م ومات مليون من المسلمين الكزاخ والقرغيز في مجاعات ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م واستشهد حوالي المليون من مسلمي قزاخستان عندما طبق

الشيوعيون مبادئهم على ثروات هذه الجماعات الرعوية، وجاء الروس بمهاجرين جدد إلى المنطقة الإسلامية بوسط آسيا بلغ عددهم ٥,٠٧٨,٠٠٠ نسمة في سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م ووصل عدد المهجرين الروس إلى المناطق الإسلامية بوسط آسيا ١٢,٧٩٢,٠٠٠ روسي في سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م^(١). وسياسة التهجير تهدف إلى استغلال ثروات المناطق الإسلامية بوسط آسيا وخفض نسبة المسلمين.

القوميات الإسلامية:

ينتمي المسلمون إلى العديد من القوميات، منها القوميات التركية، وأبرز هذه الجماعات: الأوزبك- التتار- الكراك- الأذربيجان- التركمان- الباشكير- القرغيز- الكراكلباك- الويغور- البلكار، ومن أبرز الجماعات التي تنتمي إلى القومية الإيرانية: الطادجيك- الأوسيت- الأكراد- الفرس- البلوخ- الطوط الأنغوش، ومن الجماعات القفقاسية: التشيش- الشركس- الكبارديا- الأباظ- الأديجار- الشاشان- الأبخاز، ويتحدث المسلمون في الاتحاد السوفياتي ١٣ لغة تركية، و ٨ لغات إيرانية، و ١٥ لغة قفقاسية وصينية ومنغولية.

ولقد اتبع الروس سياسة تطعيم هذه القوميات بمهاجرين جدد للحد من أغليتها الإسلامية، ونجحت في خفض النسبة عن ذي قبل مثلما حدث في جمهورية قزاخستان^(٢).

سياسة الاستيلاء على الأراضي الإسلامية:

بدأت محاولات روسيا في عهد بطرس الأول لضم الأراضي الإسلامية، بدأت كمرحلة

(١) الكتاني: المسلمون في المعسكر الشيوعي، (ص: ٥٩)، وما بعدها.

(٢) د. داوود دورسون: بعض الملاحظات حول البناء الاجتماعي للمسلمين السوفيت.

Religion In The Middle East V.2-P. 170.

أولى منذ ١١٨٨هـ / ١٧١٤م حتى سنة ١٣٦٩هـ / ١٨٥٢م، ثم حركة الضم الثانية، وكانت ضد الخانات، وانتهت إمبراطورية بوغر في سنة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م، ثم الاستيلاء على البامير في سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م^(١).

وفي أثناء هذه المراحل استولى الروس على القرم سنة ١١٩٨هـ / ١٧٨٣م واستولوا على قوغيزيا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، وعلى جبال القفقاس في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وتم الاستيلاء على منطقة التركستان في أواخر سنة ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م^(٢).

ولقد أمضى الروس ١٨٢ سنة في إخضاع منطقة التركستان الإسلامية، واستولت روسيا القيصرية على منطقة قفقاسية سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م.

الأراضي الإسلامية التي استولى عليها الروس

وحدة الإدارية	المساحة كم ^٢	الوحدة الإدارية	المساحة كم ^٢
زاخستان	٢,٧٧١,٠٠٠	موردوف	٢٥,٠٠٠
تركستان	٤٤٧,٤٠٠	ادمورت	٤٢,١٠٠
قوغيزيا	٠,١٩٨,٥٠٠	ماري	٢٣,٨٠٠
بادجيكستان	٠,١٤٣,١٠٠	أورنبرج	٨٥,٠٠٠
كمانيا	٠,٤٨٨,١٠٠	القرم	٢٦,١٥٠

(١) المصدر السابق

Journal Institute Of Muslim Minority P. 38.

(٢) الكتاني: المسلمون في المعسكر الشيوعي، (ص ٥٧).

أذربيجان	٠,٠٨٦,٦٣٠	شاشان	١٩,٣٠٠
داغستان	٠,٠٥٠,٣١٠	بلكاريا	١٢,٥٠٠
باشكيريا	٠,١٤٣,٦٠٠	أوسيتيا الشمالية	٠,٠٨,٠٠٠
تتاريا	٠,٦٨,٠٠٠	قرتشي	٠,١٤,٠٠٠
جوفاش	٠,١٨,٣٠٠	الاديجا	٠,٠٧,٦٠٠
أبخازيا	٠,٠٨,٦٠٠		
المجموع:			٤,٦٨٤,٩٨٠ (٣)

وتضم هذه المناطق معظم المواد الخام بالاتحاد السوفياتي «سابقاً»، حيث الغنى في الموارد الطبيعية لدرجة السيطرة على معظم الخامات، فينتج من البلدان الإسلامية بوسط آسيا والقوقاز أكثر من ٥٠٪ من نفط الاتحاد السوفياتي «سابقاً»، ٩٥٪ من الفوسفات، و٩٦٪ من قطن السوفيات، و٩٠٪ من اليورانيوم، و٧٦٪ من النحاس، و١٠٠٪ من الزئبق، و٨٦٪ من الرصاص والقصدير، و٩٠٪ من معدن الكروم، و٧٨٪ من الصوف، و٩٦٪ من الحرير المنتج من الاتحاد السوفياتي، وأكثر من ٣٧٪ من خام الحديد، و٢٧٪ من فحم السوفيات^(١)، يضاف إلى هذا كميات ضخمة من البنجر والحبوب وثروة حيوانية، تعطي أكثر من ثلاثة أرباع إنتاج الاتحاد السوفياتي «سابقاً» من الصوف، كل هذه الموارد مكنت الاتحاد السوفياتي من اتباع سياسة الاكتفاء الذاتي. فمهما قدم من

(٣) الكتاني: المسلمون في المعسكر الشيوعي: (ص ٦٦).

Europa Yearbook Vol. 2-1987.

Journal Institute Of Muslim Minority Affairs Vol. Ip.45. (١)

خطط تطوير اقتصاديات بلدان وسط آسيا والقوقاز، فهذا لن يفي حق هذه المناطق فيما تقدم من الخدمات.

في عهد الشيوعيين:

أخذ السوفيات في ابتلاع المناطق الإسلامية الراحدة تلو الأخرى، ففي سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م امتد نفوذهم إلى أذربيجان، وأصبحت جمهورية اتحادية سنة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م كما تحولت أوزبكستان إلى جمهورية اتحادية في سنة ١٣٤١هـ / ١٩٢٤م واستولى السوفيات على طاجيكستان في سنة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م وأصبحت جمهورية اتحادية ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م واتحدت تركمانستان في سنة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م وامتد نفوذهم إلى قازاخستان في سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م واتحدت في سنة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م. وضمت جمهورية قرغيزيا للاتحاد في سنة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م^(١).

واستولى السوفيات على باشكيريا وتتاريا في سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م وألغوا جمهورية القرم بعد الحرب العالمية الثانية، ونقلوا معظم سكانها إلى سيبيريا، وضموا داغستان سنة ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م، ثم ذلك في فترة تقدر بحوالي ست عشرة سنة، بينما استغرق القياصرة ١٨٢ سنة ليبسطوا نفوذهم على المناطق الإسلامية بوسط آسيا.

ولقد ثار المسلمون في روسيا ضد حكم القيصر، قبل الثورة الشيوعية، ففي مارس سنة ١٩١٧م تشكل المجلس الإسلامي في وسط آسيا وضم المثقفين من مسلمي وسط آسيا، كما كون الأئمة جمعية العلماء في التاريخ السابق، وتشكل من المؤتمرين المؤتمر الإسلامي في طشقند، وناقش في الفترة من ١٦ إلى ٢٣ أبريل سنة ١٩١٧م مستقبل علاقة المسلمين في وسط آسيا بالروس، كما ناقش قضية احتلال الروس لوسط آسيا، ونادى بالاستقلال

(١) المصدر السابق: (ص ٥٧) و«البلدان الإسلامية»: (ص ٣١٢)، وما بعدها.

وانتخب المجلس المركزي التركستاني وعرف باسم «المركز المالي» ولقد حضر مؤتمر طشقند ٤٠٠ مندوب.

وعقد مؤتمر إسلامي عام في موسكو في الفترة من ١ إلى ١١ مايو سنة ١٩١٧م نتيجة جهود تشار قازان ومسلمي شمالي القوقاز، وضم ٨٠٠ مندوب، كان من بينهم ٣٠٠ من علماء الدين الإسلامي، وكانت علاقة المسلمين في روسيا بالسلطات هي محور بحث المؤتمر، وقامت ثورة في سهوب قازاخستان ضد المستوطنين الروس، وطالبت بوضع حد للاستعمار الروسي وشكلت منظمة عرفت باسم Alash - Drda في مارس ١٩١٧م وفي أبريل ١٩١٧م عقد مؤتمر عام للقرغيز في أورنبرج، وقرر استخدام لغة القازاخ في المدارس والمحاكم الإسلامية والدواوين الحكومية، وفي يوليو ١٩١٧م عقد مؤتمر آخر في أورنبرج ضم التار والقرغيز، وقرر المؤتمر تشكيل منظمة إسلامية للدفاع عن حقوقهم وفي سبتمبر ١٩١٧م عقد المؤتمر الثاني لمسلمي وسط آسيا في مدينة طشقند، ومثلت في كل الفئات المسلمة من رجال الدين والمنظمات العمالية، وقرر قيام جمهورية إسلامية مستقلة في طشقند، تحكم بالشريعة الإسلامية، ويرأسها شيخ الإسلام. كل هذا الانتفاضات والثورات ضد حكم قياصرة روسيا كانت قبل الثورة الشيوعية^(١).

وأمام هذه الثورات توجه الشيوعيون بالنداء المعروف في سنة ١٩١٧م بأن الثورة الشيوعية تكفل حرية العقيدة والمحافظة على عادات وتقاليد الشعوب الإسلامية، ووقع هذا النداء من لينين وستالين في نوفمبر ١٩١٧م، وذلك لاستقطاب الثورات الإسلامية وكسب تأييدها، ثم كان الاستيلاء على الأراضي الإسلامية، وإعلان الحرب على الدين، ولقد ضم السوفييت مساحة واسعة من الأراضي الإسلامية في وسط وشمالي آسيا وفي شرقي قارة أوروبا، وبلغت جملتها ٩٨٠,٦٨٤ كيلومتر، يضاف إلى هذه المساحة مثلها تقريباً في شرقي سيبيريا.

(١) Journal Institute Of Muslim Minority Affairs Vo.2-p.28-45.

سياسة السوفيات في إدارة المناطق الإسلامية:

اتبع السوفيات تجزئة وحدة المسلمين وتفتيتهم إلى قوميات، ودعموا قيام الشعوبية بينهم، وقضوا على كتابة لغتهم بحروف عربية، حتى تقضي على صلتهم بالتراث الإسلامي، ثم اتبعوا نظام التهجير من المناطق الإسلامية وإلى المناطق الإسلامية، حتى يضعفوا من شأن الأغلبية المسلمة، ويحولونهم إلى أقلية في عقر دارهم، ولقد شكلت من مناطق الأغلبية المسلمة ست جمهوريات ذات حكم فيدرالي، وفي المناطق الأخرى جمعت المناطق الإسلامية في ١١ جمهورية ذات حكم ذاتي ٩ منها ملحقة في جمهورية روسيا، واثنان مع جمهورية جورجيا (أبخازيا وأجارتيا)، ثم كونت للمناطق الأقل أهمية حكما ذاتيا (أديجا والشركس) والحقتهما بجمهورية روسيا، والأوسيت الجنوبية الحققتها بجمهورية جورجيا.

ويوهم الروس العالم بأن الجمهوريات الفيدرالية مستقلة، حسب الدستور الاتحادي، وهذا في الواقع ليس إلا حبراً على ورق، فموسكو لا تثق فيحكام هذه الجمهوريات خصوصا التركستانية، فكل القادة العسكريين في آسيا الوسطى روس، ورؤساء الشرطة والأمن ومديرو السكك الحديد والبريد والبرق والهاتف روس، وأيضاً رؤساء المؤسسات الصناعية روس. ولكل رئيس جمهورية من جمهوريات التركستان مساعداً من الروس، والحال كذلك بالنسبة لرؤساء الوزارات، ورغم أن المادة ٧٢ من الدستور السوفياتي تنص على أن لكل جمهورية حق الانفصال^(١)، ولكن هذا أمر في حكم المستحيلات، أما الآن فأصبح الحلم حقيقة، وبدأت بعض الجمهوريات السوفياتية تنفصل عن الاتحاد.

الإسلام على طريقة السوفييات:

لا يؤمن الشيوعيون بدين، ومن أجل هذا يحاربون الأديان، ولقد واجه الإسلام التحديات الشيء الكثير، فلا يدع الشيوعيون وسيلة ولا يدخرون وسعاً في القضاء على الإسلام، ففي سنة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م ألغيت المحاكم الشرعية في المناطق الإسلامية الخاضعة لحكمهم، وفي سنة ١٩٤٦م منعت جميع الأنشطة الإدارية الدينية، وقبض على مليون ونصف عضو من الحركة الإسلامية بين سنتي ١٣٤٧هـ / ١٣٥١هـ، ١٩٢٨م، وبدأ الروس حملة إغلاق المساجد منذ عام ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م فأغلقوا وهذه ١٠,٠٠٠ مسجد وأغلقوا أكثر من ١٤,٠٠٠ مدرسة ابتدائية إسلامية، وبدأت حركة مقاومة ضد التسلط الشيوعي في التركستان، واستمرت هذه الحركة من سنة ١٩٣٦م إلى ١٩٨٠م، وهدفها استعادة القومية التركستانية^(١).

التعليم:

رسم السوفييات سياسة تعليمية هدفها تثقيف جيل يدين بالولاء للنظام حتى تتحق سيادة السوفييات على البلاد الإسلامية، كما يهدف التعليم إلى تبسيط الأيديولوجية الماركسية حتى يفهمها جميع السكان، وكذلك نشر الثقافة السوفياتية، وكان في روسيا قبل استيلاء الشيوعيين على الحكم ٢٤,٣٢١ مدرسة إسلامية^(٢).

ومنذ عام ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م استخدمت الحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية التعليم داخل المناطق الإسلامية، وبعد أن ساد استخدام الحروف اللاتينية استبدل

(١) الدعوة: العدد (٣٣) ربيع الأول ١٤٠٠هـ.

Journal Institute Of Muslim Minority Affairs Vo1.2-1988.

وداود درسون المرجع السابق.

(٢) مجلة المجلة ربيع الثاني ١٤٠٠هـ.

بالحروف الروسية منذ سنة ١٣٥٩هـ / ١٩٣٨م ومعنى هذا إلغاء كل الكتب الإسلامية التي ترجمتها تلكم الشعوب إلى لغاتها وكتبها بالحروف العربية، وسبق هذا بفترة قرار الحزب والقيادة السوفياتية في سنة ١٣٥٧هـ^(١) بجعل اللغة الروسية لغة رسمية لجميع الشعوب التي تخضع لحكمهم، وأصبحت تدرس إلى جانب اللغات المحلية، وسعى السوفييات لتقويتها لتفتت القومية الواحدة، فأصبح بالاتحاد السوفياتي ٧٠ لغة محلية، ومن أجل هذا أغلق الروس آلاف المدارس الابتدائية الإسلامية، و ٥٠٠ مدرسة عالية، ولم يتبق بمنطقة التركستان الإسلامية، والتي كانت تزخر بالمدارس والمعاهد الإسلامية، منها غير مدرسة «مير عرب» في بخارى، ومدرسة «مبارك خان» بطشقند^(٢) ليتخرج فيها كل عام ٥٠ طالباً يتمون دراستهم الدينية، فأين هذا من حالة المسلمين قبل سيطرة السوفييات؟ فلقد كان في مدينة قازان وحدها جامعة إسلامية كانت تضم ٧ آلاف طالب ومطبعة إسلامية طبعت مليوني كتاب في سنة ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م، وكان بها مكتبة إسلامية يزورها ٢٠ ألف قارئ في السنة، وكان بالأراضي الإسلامية قبل سيطرة السوفييات ٢٣ داراً إسلامية للنشر والطباعة و ٥١٨ صحيفة إسلامية دورية و ١٩٦ مكتبة متخصصة في الإسلاميات^(٣)، أما الآن فلا يوجد غير ما يصدر عن الإدارة الدينية من نشرات، ومدرسة بخارى «مير عرب» مدة الدراسة بها ٧ سنوات، وبها ٥٠ طالباً يتخرج منهم خطباء المساجد وأئمتها والمقرئون، وبعد إتمام الدراسة ينتقل الطلاب لمعهد طشقند، ومدة الدراسة به ٤ سنوات، وبهذا المعهد «براق خان» ٥٨ طالباً. وبمجرد معرفة عدد طلاب المعهدين يمكن ببساطة استنتاج مدى الأهمية التي توليها السلطات للتعليم

(١) Journal Institute Of Middle East p.152.

(٢) مجلة الغلة.

(٣) المسلمون في المعسكر الشيوعي: ٥٨.

Religion In The Middle East P.152. +

الديني، فهذا العدد لا يكفي حاجة المسلمين بالاتحاد السوفيتي وقد فاق عددهم ٧٠ مليون نسمة، ولا تعترف السلطات السوفياتية بشهادات المعهدين، وإنما تعين إدارة الشؤون الدينية الخريجين أئمة وخطباء ووعاظاً أو مدرسين بالمعهد، فإذا أضفنا إلى هذا تحريم تعليم الدين بالمدارس الحكومية، واختفاء المدارس الدينية، أدركنا مدى معاناة أبناء المسلمين بالاتحاد السوفياتي في تعليم قواعد الدين الإسلامي، فالمصدر الوحيد لتلقي قواعد الدين الإسلامي ينحصر في الوالدين، وهذا الجيل الذي ولد مسلماً قبل سيطرة السوفيات يقرض تدريجياً، وهكذا تتلاشى المصادر ويخرج جيل ضعيف ينتسب للإسلام اسماً فقط، وبهذه الطريقة يقضي السوفيات على تمكن الإسلام من نفوس المسلمين بالاتحاد السوفياتي، هذا بينما يوجد في أوزبكستان وحدها ١٤ جامعة ومعهداً تستخدم اللغة الروسية.

صحوة تعليمية إسلامية :

نتيجة للتغير الذي حدث في الاتحاد السوفياتي أخيراً والتسامح مع الأديان تم فتح معهدان إسلاميان في كل من مدينتي أوفكا - في بشكيريا، وبأكو عاصمة أذربيجان^(١)، لي كذلك عقدت دورة لإعداد الأئمة في القفقاس في سنة ١٩٨٩م، وبدأت صحوة تعليمية إسلامية، وظهرت الدعوة إلى إعادة الكتابة بالحروف العربية في المناطق الإسلامية، كما نشط المسلمون في بناء بعض المدارس الإسلامية في الجمهوريات الإسلامية بوسط آسيا، وبدأت محاولات جلب مطابع بالحروف العربية.

الساجد:

لقد بلغ عدد رجال الدين الإسلامي من أئمة ووعاظ ومقيمي الشعائر في الإمبراطورية

(١) محمد صفوت السقا: «المسلمون في الاتحاد السوفياتي»، و«أخبار العالم الإسلامي» (٢/٥/١٩٨٤هـ).

الروسية قبل استيلاء السوفييات على السلطة في سنة ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م، بلغ عددهم ٤٥,٣٣٩ هذا أيام كان عدد المسلمين بروسيا ١٧ مليوناً، فقياساً على هذا، وبعد أن وصل عدد المسلمين في الاتحاد السوفياتي ٧٠ مليوناً، كم يلزم هؤلاء من أئمة ووعاظ ومقيمي الشعائر الدينية؟

لا شك أنه أضعاف العدد السابق، فكم يوجد الآن ؟ ٩٠٠٠^(١) من رجال الدين الإسلامي، والأسباب واضحة في موقف الشيوعية من الإسلام في هدم وإغلاق عشرات الآلاف من المساجد، فقبل استيلاء الشيوعيين على الحكم في الإمبراطورية الروسية كان عدد المساجد ٢٦,٢٧٩ مسجداً ومصلًى في سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م، وكان بمنطقة التركستان وحدها ١٢,٤٩٩ مسجداً ومصلًى؛ أي مسجد لكل ٤٧٠ مسلماً، وبعد أن حكم السوفييات الأراضي الإسلامية. ففي سنة ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م أي في أثناء الحرب العالمية الثانية، أذاعت جريدة أخبار الحرب السوفياتية، أن عدد المساجد ١٣١٢ مسجداً في أنحاء الاتحاد السوفياتي، فأين المساجد الباقية؟، وتوزيع المساجد على أنحاء المناطق الإسلامية يوضح مدى النقص في عدد بيوت الله، ففي مدينة طشقند، التي بلغ عدد سكانها في الآونة الأخيرة ٢ مليون نسمة، ٤ مساجد، وفي سمرقند كان عدد المساجد قبل استيلاء السوفييات عليها ١٠٠ مسجد (الآن ٣ مساجد). وكان في بخارى ٣٦٠ مسجداً في سنة ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م (الآن بها ٦ مساجد)، وفي جمهورية داغستان ٢٧ مسجداً حالياً، وفي منطقة التار «تتاريا» ١٢ مسجداً، وفي جمهورية قرغيزيا ٣٣ مسجداً، وفي جمهورية أذربيجان ١٦ مسجداً، والنتيجة هي تلاشي أعداد المساجد، وهذه ظاهرة خطيرة، ولقد نشر أخيراً أن عدد المساجد في خمس جمهوريات إسلامية (التركستان) وصل

(١) The Religion In The Middle East V.1p.156.

إلى ١٠٠ مسجد^(١)، وإذا أضفنا إلى هذا أن الذين يذهبون للصلاة من كبار السن والشيخوخة - ولا يظهر الشباب بينهم، أصبح الأمر يعطي ظلالاً قائمة لمستقبل المسلم بالاتحاد السوفيات «سابقاً»، بعد هذا الجيل من الشيخوخة، ولكن بعد أن ظهرت صحوة إسلامية في آسيا الوسطى تم بناء ٥ آلاف مسجد بها خلال عام ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ صرح بذلك القاضي عبدالغني عبدالله نائب مفتي آسيا الوسطى، وسوف يزداد عدد المساجد بعد التغييرات الأخيرة في الاتحاد السوفياتي.

الإدارة الدينية:

يعتبر تشكيل الإدارة الدينية الإسلامية بالاتحاد السوفياتي «سابقاً» تنظيمًا حكوميًا، وه التنظيم مرتبط بوزارة الأديان ومقرها موسكو، ويرأس إدارة شؤون المسلمين مفتي، وبمضي باقي المفتين مفوض من مجلس السوفيات في كل جمهورية، وممثل عن وزارة الأديان ويوجد ممثل مقيم في موسكو، ويوجد أربع إدارات للمسلمين بالاتحاد السوفياتي، إدارة مسلمي آسيا الوسطى وقازاخستان ومركزها في طشقند، وتتبعها جمهوريات أوزبكستان وطادجيكستان وقرغيزيا، وجمهورية التركمان، وجمهورية قازاخستان، ويتولى الشؤون الدينية في كل جمهورية من الجمهوريات السابقة قاض وهو مسؤول أمام المفتي، وقد ذاع مفتي آسيا الوسطى أن المسلمين قد عادوا لتدوين لغاتهم بالحروف العربية، وأكد ه الشيخ محمد صادق مفتي كزاخستان، ويرى أن انتشار اللغة العربية أصبح أمراً ضرورياً والإدارة الدينية الإسلامية الثانية هي إدارة مسلمي شمال القفقاس، ومركزها في داغستان

(١) مجلة المجلة: العدد الثاني ربيع الثاني ١٤٠٠هـ.

جريدة المدينة المنورة: (١٦ جمادى الثاني ١٤٠١هـ).

جريدة الأهرام: (١١/٥/١٩٩٠م).

أخبار العالم الإسلامي: (١٩/٣/١٤١١هـ).

أخبار العالم الإسلامي: (٢/٥/١٤١١هـ).

وتشمل مناطق الشيشان وأوسيتي الشمالية، والبلكار، وداغستان، ومناطق الأوديجا وكارتشاي الشركسي.

والإدارة الدينية الثالثة هي إدارة مسلمي القسم الأوربي وسيريا، ومركزها أوفيا في بشكيريا، والإدارة الرابعة لمسلمي ما وراء القفقاس، ومقرها باكو عاصمة أذربيجان، وبها الإدارة الخاصة بالمسلمين الشيعة^(١).

كيف يؤدي المسلمون السوفييات شعائر دينهم؟

لقد تعامل السوفييات مع الإسلام في الجمهوريات الإسلامية السوفياتية بعنف وتحد منذ أن بسطوا نفوذهم على تلك الأراضي، فلقد استولت الشرطة على جميع نسخ القرآن الكريم، وأحرقتها في الفترة من سنة ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م إلى ١٣٥٥هـ، ولقد عاون في هذا الجمعيات الإلحادية بالدعاية ضد الإسلام، واستخدمت الحكومة جميع وسائل الإعلام لتحقيق هدفها، ففي عام ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م أُلقيت ٢٣ ألف محاضرة في جمهورية أوزبكستان ضد الدين، واستخدمت دور السينما والإذاعة لمحاربة الدين وتشويه صورة المسلمين، الذين يذهبون للمساجد، أو يصومون رمضان، أو يحتفلون بالأعياد الإسلامية^(٢)، ولهذا الغاية أسس الشيوعيون الاتحاد الملحد من منذ سنة ١٣٤٢هـ ومنعوا الحجاج من الذهاب إلى بيت الله الحرام، فقبل استيلاء السوفييات على الأراضي الإسلامية كان عدد الحجاج من هذه المناطق سنوياً حوالي ٣٥ ألفاً، وصل عددهم في حكم السوفييات بين ١٥ و ٢٠ حاجاً في بعض السنوات، وفي سنوات كثيرة لا يصل الحجاج السوفيت.

(١) صفوت السقا: المسلمون في الاتحاد السوفياتي، (ص ٧٨).

كلكجي + المسلمون في الاتحاد السوفياتي.

(٢) مجلة الدعوة: (العدد ٧٣٣).

في هذه الظروف يؤدي المسلمون شعائر دينهم وسط موجات من الرعب، لهذا لا يظهر غير المسنين كرواد المساجد، بسبب منع الصلاة والصوم والحج، بحجة أن هذا يؤثر اقتصادياً في المجتمع السوفياتي، وأمام هذا اضطر بعض رجال الدين في روسيا إلى إصدار فتاوى تنسجم مع أهداف السوفيات، ويستطيع المسلم من خلالها تأدية شعائره الدينية بشكل لا يؤثر في مستقبل الاقتصاد السوفياتي، فقد أباح هذه الفتاوى للمسلم أن يجمع الصلاة مرة واحدة في اليوم، ويصوم يوماً واحداً في شهر رمضان، ولقد أصدرت السلطات أمراً بمنع ذبح الأضاحي حتى ولو كانت ملكاً خاصاً، بحجة الأضرار الاقتصادية، وبالنسبة لفريضة الحج، فيصعب على المسلمين في الاتحاد السوفيتي تأديتها لأسباب عديدة. هذه هي الظروف التي يمارس فيها المسلمون شعائر دينهم.

علاقة السوفيات بالعالم الإسلامي :

تحكم هذه العلاقة عدة ظروف منها ظروف الأحوال الداخلية بالاتحاد السوفياتي، أو المصلحة الخارجية وفقاً للظروف الدولية، ففي السنوات الأولى للثورة الشيوعية لم يقع أي هجوم مباشر على الإسلام، فالقادة الجدد كانوا بحاجة للدعم الشعبي، وكانوا مجبرين على تقديم بعض التنازلات تنفيذاً لوعودهم حول الحريات، غير أنهم لم يتأخروا في اتخاذ بعض الإجراءات التي حددت ملكية الأوقاف وحولت المحاكم الشرعية إلى مدنية وقلصت التعليم الديني. ثم تنمّر الشيوعيين فاستعملوا العنف مع رجال الدين المسلمين. وزجوا بهم في السجون. ولما قامت الحرب العالمية الثانية هادن الشيوعيون رجال الدين عندما هاجم الألمان روسيا، فخفف السوفيات من عنفهم مع رجال الدين ليكسبوا العالم الإسلامي إلى جانبهم، ولما تولى خروشوف حكم الاتحاد السوفياتي، عادت سياسة الاضطهاد في شكل حملات مركزة ضد الدين الإسلامي، بلغت ذروتها فيما بين سنتي ١٣٨٠هـ - ١٣٨٤هـ.

وقد أمرت السلطات السوفياتية بإغلاق بعض المساجد بسبب دورها في حياة المسلمين، وقد انتهت هذه السياسة بنهاية خروشوف^(١) إلى غير أن سياسة الحزب البنية على القضاء على الأديان، تتكيف مع مصلحتها ووفقا للظروف الدولية، ففي الوقت الراهن يسود العالم الإسلامي نهضة روحية تتجه إلى جمع صفوف المسلمين وتوحيد كلمتهم، وإبراز قوة العالم الإسلامي دولياً، في هذه الظروف يهادن الشيوعيون الدين مؤقتاً، فلقد اختفت المنشورات التي كانت تهاجم الدين وتؤكد على الغياب الحتمي له، وبدأت هذه الفكرة تزاجع، وحلت محلها منشورات تعترف بقدرة الأديان على الاستمرار، وتمكنها من التأقلم مع المجتمع الاشتراكي.

وربما يكون قادة السوفيات أدركوا الدور الأخلاقي الذي يؤديه الدين في حياة المجتمعات، بما وربما تكون هذه الظاهرة مهادنة مؤقتة نتيجة صحوة العالم الإسلامي، ومما يدعم هذا ما قام به السوفيات من دعوات لعقد مؤتمرات إسلامية دولية، وهذا أمر غير مألوف عند السوفيات، فلقد دعت الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاخستان لعقد مؤتمر إسلامي للبحث في موضوع: الإمام البخاري والعصر الحديث، وعقد المؤتمر في مدينة سمرقند في سنة ١٣٩٤هـ، وحضره مندوبون عن رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ومندوبون من دول إسلامية عديدة.

وقبل مؤتمر الإمام البخاري والعصر الحديث السابق ذكره، عقد مؤتمر إسلامي في سنة ١٣٩٣هـ لتأييد الدول العربية ضد إسرائيل، وعقد مؤتمر إسلامي في مدينة طشقند في نهاية سنة ١٤٠٠هـ بمناسبة بداية القرن الخامس عشر الهجري، وهذا رد من السوفيات على المؤتمر الإسلامي الأخير الذي عقد في إسلام أباد. ومهما كانت غاية هذه المؤتمرات، إلا أنه من الأفضل إعطاء حرية العبادة للمسلمين داخل الاتحاد السوفيتي «سابقاً» الأمر

(١) المصدر السابق.

الذي حرموا منه طيلة ٦٠ عاماً، فهو أولى وأحق من المؤتمرات الدعائية.

بؤادر التغيير الجديد:

كانت سياسة السوفيت تتلون حسب مصالحهم، غير أنه في الآونة الأخيرة، وفي عهد جورباتشوف، حدثت مهادنة الأديان، وكنيجة لتطور الأحداث في الكتلة الشيوعية، والتخلي عن النظام الماركسي، بعد التجارب المريرة التي خاضتها الشعوب، ظهرت هذه السياسة الجديدة في معاملة السلطات السوفياتية للشعوب المسلمة في روسيا، ونستطيع ذكر بعض هذه الملامح:

١- تم السماح بدخول مليون نسخة من القرآن الكريم إلى بلدان الاتحاد السوفياتي، أرسلتها المملكة العربية السعودية هدية من مشروع خادم الحرمين الشريفين.

٢- تم افتتاح ٥٥ جمعية إسلامية.

٣- أعيد تسليم ١٩ مسجداً.

٤- شهدت بعض المدن نشاطاً إسلامياً ملحوظاً، وعقدت عدة مؤتمرات إسلامية.

٥- بدأ تكوين بعض الأحزاب الإسلامية، مثل حزب اليقظة الإسلامي في موسكو، ويرأسه صدوري أحمد التري، وبدأ المسلمون في تشكيل حزب النهضة الإسلامية في ١٩٩٠/٦/٩م في مدينة استراخان، وافتحت له فروع في مدن عديدة بلغت ٢٠٠ فرع^(١).

(١) نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة جمادى الأولى ١٤٠٠هـ، وأخبار العالم الإسلامي: حديث ملفي القسم الأوروبي، وسيبيريا: (١٤١٠/٤/٨)، وأخبار العالم الإسلامي: (١٤١١/٤/٢٥).

المؤتمر الإسلامي العالمي عن الإمام الترمذي والعصر الحديث:

عقد هذا المؤتمر في مدينة طشقند عاصمة جمهورية أوزبكستان في جمادى الأولى ١٤١١هـ، وحضره وفود عديدة من الدول الإسلامية والهيئات المسلمة، واتخذ المؤتمر عدة توصيات منها:

- ١- أعرب المشاركون عن ارتياحهم لسياسة الانفتاح (البروسريكا) وما تبشر به من انفتاح وتسامح مع الأديان في الاتحاد السوفياتي.
- ٢- أوصى المشاركون في المؤتمر بالتوسع في دراسة الحديث النبوي الشريف والسنة، وتطبيق ذلك على حياة المسلمين.
- ٣- أوصى المشاركون بعقد لقاء سنوي في الأراضي الإسلامية بالاتحاد السوفياتي، وتخصيص هذا للدراسات الإسلامية.
- ٤- أوصى المشاركون بالتعاون مع الهيئات الإسلامية لتأسيس المعهد الإسلامي العالمي لعلوم الحديث والدراسات الإسلامية في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفياتي.
- ٥- أصدر المشاركون توصية بإعادة إعمار المساجد التي تهدمت.
- ٦- أوصى المؤتمر بإنشاء جامعة إسلامية باسم الإمام الترمذي.
- ٧- توصية خاصة بتداول الكتب الإسلامية.
- ٨- أوصى المؤتمر بتنشيط الاستثمار الاقتصادي بالجمهوريات الإسلامية بالاتحاد السوفياتي.

متطلبات العمل الإسلامي في الاتحاد السوفياتي (سابقاً) :

تتضمن هذه المتطلبات فيما يلي :

- ١ - مساعدة الجهود الشعبية التي بدأت بتعمير وإعادة بناء المساجد والمدارس الإسلامية.
- ٢ - الحاجة ماسة إلى الدعاة لتصحيح مفاهيم الدين الإسلامي في أذهان المسلمين بعد فترة طويلة من المسخ.
- ٣ - الحاجة إلى المراكز الإسلامية التي تضم مجموعة من المؤسسات الإسلامية (مسجد، ومدرسة، ومكتبة) في عواصم الجمهوريات الإسلامية بالاتحاد السوفياتي، وهناك مشروع لإقامة ٢٢ مركزاً إسلامياً قدم إلى اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا.
- ٤ - هناك حاجة إلى الكتب الإسلامية المترجمة إلى اللغات التركية ولغات القوميات الأخرى، وأيضاً باللغة الروسية.
- ٥ - وضع مناهج موحدة للتعليم الإسلامي تطبق في جميع المدارس الإسلامية بالاتحاد السوفياتي.
- ٦ - قيام مشاريع تجارية لبيع الأكلات الإسلامية وهذا مشروع اقتصادي هام يمكن أن يرصد عائده لتنشيط العمل الإسلامي في الاتحاد السوفياتي.
- ٧ - محاولة حل مشكلة الحج، فعدد المسلمين الذين يصرح لهم بالحج قليل جداً بالنسبة لعدد المسلمين في روسيا.
- ٨ - الحاجة إلى مطابع بالحروف العربية، ويوجد مشروع سعودي خاص ببناء مطبعة في طشقند.
- ٩ - مكافحة الشعوذة والدجل عند بعض الفرق.

١٠ - التركيز على توعية الشباب المسلم في الاتحاد السوفياتي.

١١ - مراعاة تعدد اللغات بسبب تعدد القوميات.

١٢ - الحاجة إلى الثقافة الإسلامية الصحيحة نحو الإلحاد، ومكافحة التشويش الإعلامي الروسي.

انهيار الاتحاد السوفياتي :

توالى أحداث سياسية متلاحقة شهدتها النصف الثاني من سنة ١٩٩١م، أدت إلى تفكك الاتحاد السوفياتي وانهياره، حيث لم يعمر أكثر من ٧٠ عاماً، فما كاد أن يحل شهر ديسمبر من العام المذكور إلا أن ظهرت خريطة سياسية جديدة لما كان يسمى بالاتحاد السوفياتي، فأعلنت بعض جمهورياته استقلالها، وأعلنت الأخرى تكتلات جديدة بزعامة جمهورية روسيا الاتحادية. وأسأل الله أن يعود الكيان الإسلامي لجمهورياته الإسلامية بوسط قارة آسيا وشرقي قارة أوروبا.

المصادر

١ - Richard V. Weekes Muslim peoples. Survey 1978.

٢ - The Europa year book - Vo1. I . 1978.

The Europa year book - Vo1. I . 1985.

٣ - علي المنتصر الكتاني: المسلمون في المعسكر الشيوعي.

٤ - محمد السيد غلاب، حسن عبدالقادر صالح، محمود شاكر - البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة.

٥ - بعض نشرات معهد شؤون الأقليات المسلمة - جامعة الملك عبدالعزيز جدة.

journal institute of muslim minority affairs king. -٦

Abdullaziz University - Jeddah V. 2 1980. P. 45. -٧

The World Almanac 1990

٨- د. داوود درسون، المصدر السابق.

٩- تصريح الشيخ محمد كيكي رئيس الإدارة الدينية لمسلمي شمال القفقاس. وتصريح الشيخ محمد صادق مفتي المسلمين في كزاخستان، والشيخ طلعت تاج الدين رئيس الإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوربي وسييريا.

